العرب
السبت 2019/11/02
السنة 42 العدد 11516

أيهما يريد الشَّر بكربلاء: أبوتراب أم عازفة الكمان

زرع ستة عشر عاما من الثقافة الطائفية الإيرانية يذهب هباء

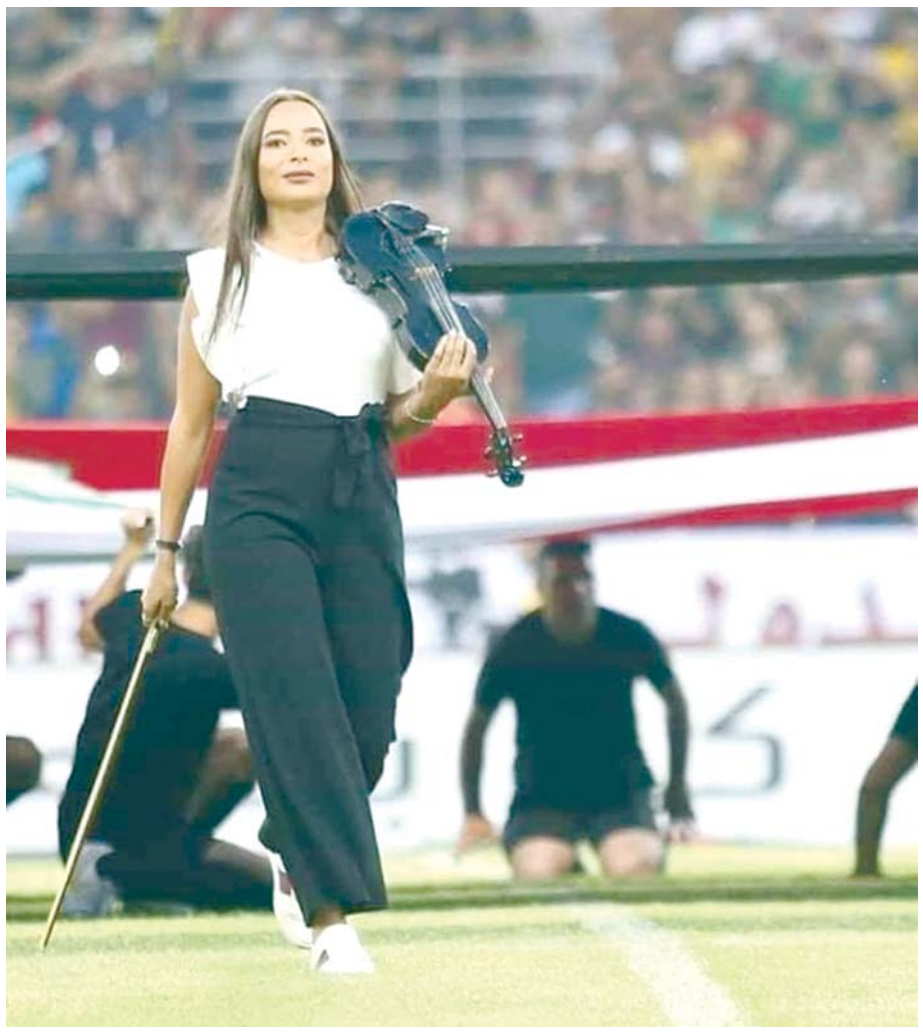

بين صوت الرصاص الكاتم لأنفاس المتظاهرين وصوت الكمان حين علا في ملعب كربلاء بون شاسع بمستوى الفارق بين الحياة والموت

دفعت المظاهرات الأخيرة التي شهدها العراق لا سيما في كربلاء بإيران إلى الزج بميليشياتها في مسعى للتصدي لها وإيقافها. ورغم الخسائر البشرية الهامة التي لحقت بالعراقيين إلا أنها جعلتهم يكتشفون الوجه الدموي للميليشيات التابعة لإيران، والتي كانت مفاجأة غير سارة لها، حينما اكتشفت أن ما كرسته من ثقافة طائفية ذهب هباء.

زيد بن رفاعة

وضعت المجزرة التي نفّذت بكربلاء ضد المحتجّين السلميين، واتهم بارتكابها أبوتراب الحسيني، واسمه ثامر إسماعيل، أحد نشطاء ميليشيا بدر، حدا فاصلا لدى الكربلائيين بين ادعاء الميليشيات حماية الشيعة وممارسة افتراسها لهم، لأن التظاهرات التي خرجت كانت موجهة بشكل مباشر للنظام الإيراني والنظام العراقي التابع له.

يحقّ للكربلائيين التساؤل عن سر وجود أكثر من سبعة آلاف عنصر من الحرس الثوري، دخلوا كربلاء بحجة حماية الزوار الإيرانيين، استقر بهم الحال فيها. وهل بالفعل دخل هؤلاء العراق ثم كربلاء من أجل الغرض الذي أفصحت عنه وسائل الإعلام العراقية؟ وسنويا يأتي الزائرون من إيران، لكن لماذا جاءت زيارة الحرس الثوري هذه المرة متزامنة مع وجود التظاهرات العارمة، وعلى وجه الخصوص بكربلاء والنّجف؟

كيف تشكّل هذه التظاهرات خطرا على الزائرين الإيرانيين فقط، رغم أن كربلاء تستقبل زائرين من بلدان عدة، من الهند ودول الخليج، وحيث توجد شيعة إماميَّة؟

> **طهران تطرح نفسها حامية لعتبات كربلاء والنَّجف، وإذا بهذه الأماكن تثور على الإيرانيين وميليشياتهم، لذا كانت ردة الفعل شديدة**

وإذا كان هذا القلق من المتظاهرين واقعا، أليس في جوهره مرتبطا بالغضب العراقي الشيعي الشعبي من ممارسات إيران داخل العراق، ومنها الجرأة على قتل المتظاهرين؟ ويأتي في مقدمة المتهمين باستهداف المتظاهرين الميليشيات، وأبوتراب الحسيني، الذي يجمع في ممارساته بين عنف القوات الحكومية، كونه قائد القوة الخاصة (سوات)، وعنف الميليشيات، كونه عضوا فاعلا في فيلق بدر (تحول اسمه منظمة بدر).

لكن كيف يمكن لدولة تدعي الديمقراطيَّة أن تُنصّب ميليشياويا قائدا على حرسها الخاص، بل وأن يكون أبوجهاد الهاشمي، وهو من بدر أيضا مديرا لمكتب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، وأحد أبرز أعضاء خلية الأزمة، التي شُكلت لقمع التظاهرات؟

وتم قمع التظاهرات من خلال طريقة القناص الملثم، وهو أسلوب إيراني استخدم ضد المتظاهرين في سوريا سنة 2011. الأخطر من كل ذلك أن يكون عادل عبدالمهدي نفسه قائدا للقوات المسلحة العراقية، وهو من ميليشيا بدر أيضا، كون بدر الذراع العسكرية للمجلس الإسلامي الأعلى، الذي ينتمي له عبدالمهدي، والذي تأسس في مكتب مرشد الثورة والدولة الإيرانية الخميني.

الجميع يتذكر الضجة التي افتعلتها الأحزاب الدينية دفاعا عن قدسية كربلاء، والتي يتوسطها الحائر الحسيني، حيث قبر الحسين بن علي، وأخيه العباس بن علي، عندما عزفت العازفة اللبنانية على آلة الكمان في ملعب كربلاء، لكن هذه الأحزاب صمّت الآذان على عزف الرصاص وهو يمزق أجساد نحو ثلاثين كربلائيا من المتظاهرين!

ولم يهز فساد القائمين على العتبة الحسينية والعتبة العباسية، من وكلاء المرجعية، ضمائر المدافعين عن قدسية كربلاء، والتي -لوثها- حسب رأيهم عزف الكمان، في مناسبة رياضية. كذلك لم تهتز نخوة تلك الأحزاب للفرقة العسكرية من الحرس الثوري، وهي تدخل كربلاء بذريعة حماية الزائرين الإيرانيين.

وبين أبوتراب الحسيني، قائد سوات، وعازفة الكمان بون شاسع، بمستوى الفارق بين الحياة والموت، بين الخير والشر. وإذا شُهّر بالعازفة على الفضائيات والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي، علا قدر أبوتراب، وكأنه عندهم علي بن أبي طالب في إحدى معاركه، فالكنية تجمع بين القناص والإمام، ذلك أن أهم كنى علي بن أبي طالب هي "أبوتراب". ويطلق الإسلاميون الشيعة على أنفسهم تحببا كنية الترابيين، لما فيها من التواضع والأمانة، لكن هؤلاء الترابيين، أصبحوا ماسين بما حازوه من أموال الدولة المنقولة وغير المنقولة.

على ما يبدو أن الغضب على كربلاء والنجف، بشكل خاص ومناطق الشيعة بشكل عام، من قبل الميليشيات، ومن قبل إيران، هو الخيبة التي وقع فيها هؤلاء، بعد أن اطمأنوا إلى أن الطائفية وخلق الخطر المستمر ضد الشيعة يكفيان لإبقاء أبناء هذه الطائفة خاضعين، ومن ثمة يستمرون في رؤية قاسم سليماني حاميا. لذا كانت مفاجأة غير سارة لهم، أن يحترق زرع ستة عشر عاما من الثقافة الطائفية ويذهب هباء. ليس هذا فقط بل انقلب السحر على الساحر. لذا كانت ردة الفعل شديدة على كربلاء بالذات، كونهم يعتبرونها عقر دارهم، بل هي مهد سحرهم للجمهور الشيعي العراقي، فإيران تطرح نفسها حامية لعتبات كربلاء والنَّجف، وإذا بهذه الأماكن تثور على الإيرانيين وميليشياتهم.

إنها مفارقة أن تحصر الإساءة لقدسية المكان بعزف الموسيقى أو أداء أغنية وسماع النشيد الوطني، بينما يكون وجود القناصين والقتلة وسيل الدماء دليلا على القدسية، ولا تخدش رداءة الخدمات وتفاقم الفساد وعمليات الاغتيال للأدباء هذه القدسية، إنه زمن أبوتراب الحسيني وهادي العامري وأبومهدي المهندس والجزائري وعميدهم قاسم سليماني، وهذا ما احتج عليه الكربلائيون وواجهوا من أجله الرصاص، لقد انشطر الحسين بن علي إلى حسينين: حسين أبي تراب القاتل وحسين المتظاهرين المقتولين، وهذا هو مظهر النزاع.

هل يمكن الرهان على قوة الشارع لتحقيق تغيير سياسي

موجة من الاحتجاجات تضرب مختلف القارات تؤشر على انهيار عالمي في الثقة بالنظم القائمة

لندن – تصدرت كلمة "الشارع"، مؤخرا العديد من الدراسات والمقالات والتحليلات التي تناولت الاحتجاجات في لبنان والعراق والتغييرات الانتخابية في تونس. تمّ تحميل هذا "الشارع" مسؤولية ما يجري، وأرجع إليه الفضل في التغيير. وتقدمت "قوة الشارع" على نظرية المؤامرة والتدخل الخارجي عند تفسير أسباب سقوط نظام أو تغيير في سياسة حاكمة.

ويبدو هذا الشارع غير المؤطّر اليوم أكثر صمودا وإصرارا على تحقيق المطالب كافة دون تنازل عن أي طلب، وذلك لأن الوضع ارتبط أساسا بالكرامة. لعل ذلك يتجسد في عدم اكتفاء الشارع بدعوات الاستقالة مثل لبنان أو مجرد استقالة عبدالعزيز بوتفليقة ففيما رموز نظامه ما زالت حاضرة في المشهد الجزائري.

والملاحظ بعد مرور ثماني سنوات على اندلاع ثورات ما سمي بالربيع العربي، أن المتظاهرين اليوم يبدون أكثر عزما وإصرارا على الحصول على مطالبهم مهما كانت التحديات والصعوبات، ولم يثنهم عن التراجع مجرد إجبار مسؤول حكومي على تقديم تنازلات أو الاستقالة كما هو الحال في الجزائر والسودان أو من خلال تجاوز استغلال الانقسامات العرقية والدينية الطائفية كما هو الحال في العراق ولبنان.

وتدفع احتجاجات المنطقة وما تحقق، إلى التساؤل عن مدى فعاليتها وقدرتها على بناء تغيير حقيقي؟ وهل يمكن الرهان على الاحتجاجات الشعبية كوسيلة فعالة لتحقيق التغيير السياسي أملا في ديمقراطية حقيقية؟

يجيب جيمس دورسي، الباحث المتخصص في السياسات الدولية على هذه الأسئلة، لافتا إلى أن السعي إلى تحقيق الكرامة والعدالة الاجتماعية، والذي يعكس أيضا الانهيار العالمي في الثقة بالنظم السياسية والقيادية القائمة، يربط الاحتجاجات في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مثل لبنان والعراق والأردن ومصر والجزائر والسودان بالمظاهرات في دول أخرى بعيدة مثل تشيلي وبوليفيا والإكوادور وفنزويلا وهايتي وكذلك فرنسا وزيمبابوي وإندونيسيا وباكستان وهونغ كونغ.

وتشبه وتيرة الاحتجاجات التي يشهدها العالم اليوم بمرحلة ما سمي بالربيع العربي التي اندلعت في عام 2011 في منطقتي الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من خلال الإطاحة بالأنظمة في تونس ومصر وليبيا واليمن.

حنين غدار

اللبنانيون أدركوا أن العدو هو من الداخل، إنه حكومتهم وقادتهم

جيمس دورسي

مستقبل الاحتجاجات يعتمد على تصورات المصلحة المشتركة

أمام هذه الأوضاع الإقليمية المعقدة ومحاولة دول مثل تركيا وإيران فرض نظام قمعي لإحكام قبضتها على السلطة، إضافة إلى صعوبات تفعيل تغيير حقيقي يستجيب لتطلعات الشارع بسبب سيطرة المؤسسة العسكرية على الحكم على سبيل المثال أزمة الجزائر، فضلا عن حملات فرض بعض الأنظمة في روسيا والصين وهونغ كونغ وكازاخستان، هل يمكن الرهان على الاحتجاجات الشعبية كوسيلة فعالة لتحقيق التغيير السياسي أملا في ديمقراطية حقيقية؟

ويشير الصحافيان بجريدة نيويورك تايمز ماكس فيشر وأماندا تاوب، إلى أنه "منذ 20 عاما فقط، نجحت نسبة 70 بالمئة من الاحتجاجات في عمل تغيير سياسي منتظم، وهي نسبة كانت تنمو بشكل مطّرد منذ الخمسينات. ولكن في منتصف الألفينية، تم عكس هذا الاتجاه فجأة. حيث انخفض معدل نجاح المظاهرات في جميع أنحاء العالم إلى 30 بالمئة فقط".

ويرجع فيشر وتاوب استنتاجاتهما إلى دراسة أجرتها عالمة السياسة، إيريكا تشينوويث، والتي تشير إلى أن المتشددين والمستبدين والأوثوقراطيين أصبحوا أكثر مهارة في إحباط الاحتجاجات باستخدام ما وصفته بسياسة "القمع الذكي".

ومع أن استعانة تشينوويث بمفهوم "القمع الذكي" لتعريف ولاء النخب، والوحشية والعنف اللذين تمارسهما قوات الأمن ووكلاء القوات شبه العسكرية، وأيضا من أجل تعزيز الرقابة وتجريم المعارضة، فإن تصوير الثورات على أنها مؤامرات وأشكال للإرهاب المستوحى من الخارج هو في أفضل الأحوال نسخة مطورة من ردود الأفعال والاستجابات الاستبدادية التقليدية.

ويجادل جيمس دورسي في هذا السياق بأنه إذا كان الاحتجاج هو البديل السلمي الوحيد للناس ردا على الحكومات والقوى السياسية غير المستجيبة، فإن تقويض فعالية الاحتجاجات يضيّق خيارات التأثير على التغيير. ومن هذا المنظور، فإن استنتاجات الباحثين ترقى، وفق جيمس دورسي، إلى تأكيد الكاتب جورج أورويل، في روايته "1944" على أن "كل الثورات هي عبارة عن تجارب فاشلة، لكنها ليست كلها على نفس الدرجة من الفشل".

مع ذلك، قد يكون هذا الاستنتاج سابقا لأوانه. ومن المؤكد أن المراقبين ما زالوا ينتظرون رؤية ما إذا كانت الثورات في تونس والسودان، التجارب الديمقراطية الناجحة نوعا ما، ستحدث تغييرا سياسيا حقيقيا ومستداما.

وتلفت الباحثة في شؤون الشرق الأوسط، حنين غدار إلى أنه "لأول مرة ومنذ فترة طويلة، أدرك اللبنانيون أن العدو هو من الداخل، إنه حكومتهم وقادتهم السياسيون، وليس محتلا خارجيا أو مؤثرا إقليميا". وتتابع "الزعماء السياسيون لم يتمكنوا من السيطرة على مسار الاحتجاجات التي تقودها جميع الطوائف وتجري في جميع المناطق. ما جمعهم هو أزمة اقتصادية مستمرة أضرت باللبنانيين من مختلف الطوائف والمناطق".

وعليه فإن إدراك أن قوة الشارع بحاجة إلى أن تستمر حتى يتم تطبيق أساليب الانتقال السلمي والديمقراطي للسلطة أمر أساسي لتعزيز فرص الإبقاء على فعالية الاحتجاجات. وبالتالي، يستنتج جيمس دورسي أن مستقبل الاحتجاجات كأداة فعالة للتغيير يعتمد على تصورات المصلحة المشتركة التي تتجاوز معضلة الطائفة والعرق والطبقية.

الكلمة للشارع